

## سورة البقرة

### المحاضرة السابعة

#### الآيات من 34 : 36

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وبعد.. فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

● وقفنا عند قول الله تعالى:

" وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ  
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) "

بيننا في اللقاء السابق الجزء الأول من الآية ووقفنا عند قوله تعالى:

( **إِلَّا إِبْلِيسَ** ) هل الاستثناء متصل أم منفصل ؟

★ الاستثناء المتصل ( المستثنى من جنس المستثنى منه )، وبناء على هذا يكون إبليس من الملائكة.

★ الاستثناء المنفصل ( المستثنى ليس من جنس المستثنى منه )، وبناء على هذا لا يكون إبليس من الملائكة.

هناك نزاع بين أهل العلم في هذه المسألة : هل إبليس من الملائكة، أم أنه ليس من الملائكة؟؟ :

- إذا كانت الآية تحمل احتمالين فلا بد أن يكون الترجيح من خارج الآية
- 1- في سورة الكهف يقول الله سبحانه وتعالى " **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ (50) "**
  - 2- في سورة التحريم قال الله تعالى في شأن الملائكة " **لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6) "** فليس عندهم شهوة العصيان.
  - 3- في سورة الكهف أيضا " **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50) "** إذا الشيطان له ذرية، أما الملائكة فليس لهم ذرية لأنهم لا يتزوجون.

4- في سورة الرحمن " **وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15) "** إذا خلقت الجن من نار أما الملائكة خلقت من نور كما جاء في الحديث:

**[ خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكَ ]** صحيح مسلم

← كل هذه الأدلة على أن إبليس لم يكن من الملائكة بل كان من الجن ونستطيع أن نرد بها على القول الأول الذي يقول بأن الاستثناء متصل وأن إبليس من الملائكة.

**( وَاسْتَكْبَرَ )** الاستكبار هو الاستعظام، وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ

قال: **[ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ ..... الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ ]**.

فعلامة الكبر (بَطْرُ الْحَقِّ) أي ردّ الحق؛ فلا يعترف الإنسان بالخطأ أبدًا مهما أخطأ رغم أنه عَلم أنه أخطأ، والكبر له درجات حتى إنه قد يصل بالإنسان إلى الكفر وذلك عندما يتكبر على أوامر الله كما فعل إبليس.

### ( اسْجُدُوا لِآدَمَ )

السجود كان كرامة لآدم من الله، والسجود لآدم كان كالسجود للكعبة- كما قال المزني- فقد كانت الكعبة قِبْلَةً لكن السجود نفسه لله عز وجل، فالسجود من الملائكة كان طاعة لأن الذي أمرهم بالسجود هو الله، ولكن ما فهم الشيطان هذا فاستكبر واستعظم.

سؤال: هل قال الله للملائكة اسجدوا لآدم قبل خلق آدم؟ أم بعد خلق آدم؟

الله سبحانه وتعالى قال للملائكة اسجدوا لآدم قبل خلق آدم ولكنهم سجدوا بعد خلق آدم وتعليمه الأسماء، والدليل على ذلك :

1- قال الله تعالى في سورة الحجر " **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) .**

2- قال تعالى في سورة ص: " **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) .**

إذا أخبرهم الله عز وجل أن يسجدوا لآدم قبل خلق آدم وإنما سجدوا بالفعل بعدما خلقه الله وسوّاه ونفخ فيه الروح وعلمه الأسماء.

- وهذا من عظيم علم الله فالأمور تحدث كم يريد لها ويقدرها تماماً فلا تزيد ولا تنقص، الله يعلم ما كان وما سيكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف يكون (وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة) على خلاف عقيدة الفرق الضالة.

## (أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ )

لماذا أبى إبليس واستكبر؟

لم يبيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية -آية البقرة- مُوجب (سبب) الاستكبار، ولكنه ظهر في آيات أخرى:

1- في سورة الحجر " قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَآ مَسْنُونٍ(33) " فكان اعتراضاً من إبليس لأن آدم بشر مخلوق من صلصال(الطين الأبيض الذي إذا جفّ أحدث صوتاً) وحمأ مسنون (الطين عندما يصب عليه الماء فيعطي رائحة).

2- قال أيضا في سورة الأعراف " قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ(12) "

لنا هنا وقفة وهي قاعدة أصولية هامة :-

هذا الذي احتج به إبليس يسميه علماء الأصول - أصول الفقة - يسمى بـ **(فساد الاعتبار)** أي أن الحجة الذي احتج بها سببها الاستنتاج والاستحسان؛ ما الدليل على أن هذا الذي استنتجه إبليس هو الصواب!!

ما الدليل على أن النار أفضل من الطين؟! ما الدليل على أن النار أفضل من الحمأ المسنون؟!!

هذا ما يسمى بفساد الاعتبار؛ اعتبر أن النار أفضل من الطين .

### فائدة هامة

عند المناقشة أو المحاجاة يجب أن يملك الشخص الأدلة العلمية على قوله وإلا لو لم يفعل سيصبح **فاسد الاعتبار** أي استنتج واستحسن ولم يأت بالدليل من القرآن أو السنة، وقد يأتي بالدليل ولكن هذا الدليل ليس محل الشاهد الذي نتكلم فيه وهذا ما يسمى (مناط الدليل).

لذلك كل عقائد الفرق الضالة مبنية على فساد الاعتبار، وسلفهم في ذلك الشيطان؛ لأن الشيطان هو أول من استكبر واستعظم وردّ الحق لاتباع الهوى.

**وكل مخالف للنص أو الإجماع يعتبر فاسد الاعتبار.**

### \*\*مثال:

آية الحجاب آية واضحة وصريحة " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (59) " [الأحزاب]

فيأتي قائل يقول هذا الكلام لنساء النبي أو بناته فقط !!

هذا مخالف للنص الصريح في الآية فلماذا أخرج نساء المؤمنين من الآية هذا فساد اعتبار لأنه استنتج واستحسن إخراج نساء المؤمنين من الآية. فمن الاستحسان أن الشخص إذا رأى أمرًا من أوامر الله حسنا يفعله وإن لم يره حسنا لا يفعله..

## لماذا كان الشيطان فاسد الاعتبار؟

**1- خالف النص؛** لأن الله أمره أن يسجد فلم يطع وهذا من فساد الاعتبار بعكس الملائكة الذين أطاعوا الله عندما أمرهم فعملوا مباشرة (فسجدوا) الفاء تفيد التعقيب والسرعة وهذا هو حال الطائع لله المحب لربه سمعنا وأطعنا.

**\*\*مثال:** الحجاب الشرعي إذا أخبرت بمواصفات الحجاب الشرعي الساتر الذي جاء في سورتي الأحزاب والنور قد تجد الرد بالاستحسان أي استحسان اللباس الغير شرعي وتقول هذا يسد مسد اللباس الشرعي واستنتاج أنه جائز كل هذا فساد اعتبار ومخالفة النص الذي ورد بالآيات.

**2- في سورتي الأعراف و ص " قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ " فاستنتج أن النار أفضل من الطين وهو استنتاج باطل لهذا يعد من فساد الاعتبار لأن الطين سبب الحياة كلها من مأكّل ومشرب وملبس فلو لم يكن الطين ما وُجدت الحياة؛ تضع الحبة فتخرج السنابل والقمح، تضع النواة فيخرج النخل، تثبت الحقائق ذات البهجة التي تدخل السرور على القلب، لكن النار مادة إحراق وخوف وفزع فهي شر من أكثر الوجوه لكن الطين مادة حياة وبقاء.**

- وأيضا إذا سلّمنا أن النار خير من الطين فإن الأصل قد لا يتبعه الفرع؛ أحيانا الأصل يكون شريف والفرع وضيع، مثل نوح الذي هو من أولي العزم من الرسل كان ابنه كافرا.

فهبّ أن النار أشرف من الطين فهل من الضرورة أن إبليس أشرف من آدم؟!

## ( وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ )

الإنسان قد يصل إلى الكفر بأربعة أركان لو وصل فيها القمة :

⑤ الكبر      ⑤ الحسد      ⑤ الغضب      ⑤ الشهوة

1- **الكبر** يمنع الانقياد لأنه استعظم واستكبر في نفسه.

2- **الحسد** يمنع قبول النصيحة وبذلها.

3- **الغضب** يمنع العدل.

4- **الشهوة** تمنع التفرغ للعبادة.

### وتفصيل ذلك:

1- **(الكبر):** كم من إنسان مسلم يمتنع عن الانقياد لأوامر الله استكباراً؛ لذلك حال ارتكاب المسلم لكبيرة من الكبائر (زنا/ قتل/.....) إما أن يكون بضعف منه وهو معترف أنه مذنب فإذا مات على التوحيد فهو في المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه وفي النهاية يدخل الجنة لأنه ليس بمستكبر هو فقط ضعف أمام الشهوة، وإما قد يرتكب نفس الذنب لكن مستكبر يرفض أوامر الله، مستعظم في نفسه أن يطيع الله عز وجل هذا يخرج من الملة مباشرة.

2- **(الحسد):** الحاسد شحيح لا يقبل النصيحة ولا يبذلها، فهناك من الناس من يبخل حتى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يبخل في بذل النصيحة وفي فعل الخير للمسلمين، يبخل حتى بالمعلومة البسيطة كي لا يستفيد منها أحد.

3- **(الغضب):** هدم الغضب يجعله يعدل؛ لأن الغضب -انتصارا للنفس- لا يتحقق معه العدل.

4- **(الشهوة)** لو هدمت الشهوة سيصبح الإنسان عفيفا.

قال النبي ﷺ **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى** [صحيح مسلم]

العفة عن المحرمات والصبر على أداء الطاعات والصبر عن المعاصي كل ذلك يأتي بهدم ركن الشهوة.

ما الطريق للتخلص من هذه الأركان أو حتى التلبس ولو بشيء بسيط منها؟ 

(الكبر والحسد والغضب) يحتاج **معرفة دراسة أسماء الله الحسنى** وآثارها.

- فالذي يحمل المتكبر على **(الكبر)** هو جهله بأسماء الله وصفاته ، فلو علم العبد أن الله كبير متعال عرف قدره.

- أما **(الحسد)** فينهدم إذا عرفت قدر الله وآمنت بقضائه وقدره فهو تقدير العليم الحكيم؛ فالإنسان لا يحسد لأن كل شيء بقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ، ولن يزول بالحسد شيء إلا بقدر الله، فالحسد يتولد من أمرين: عدم الإيمان بالقدر، وعدم الرضا عن قضاء الله.

فيجب اليقين بأن تقسيم الملك أحسن تقسيم وإن لم يحصل الإنسان على شيء في الدنيا أبدله الله أشياء أخرى قد تكون في الدنيا وقد يدخره الله له في الآخرة.

- وأما **(الغضب)** فينهدم بمعرفة أحوال النفس وأنها حقيرة وأمارة بالسوء ومذنبية وأنها تورد الإنسان المهالك فلا يصح الانتصار لها



" إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ " فالانتصار للنفس معناه عدم الوصول للحق فيزداد الغضب الذي لا يتحقق معه العدل فيقع الإنسان في الظلم.

- وأما **(الشهوة)** فلو علم الإنسان أنه كلما أعطيت النفس ماتشتهي سيوجد الحرمان؛ فأعظم أسباب الحرمان (عطاء النفس ماتشتهيه) أعطيتها الطعام وأسرفت فيه...ثقل البدن عن الطاعة.

أعطيتها شهوة الانتصار... وقعت في الظلم.

أعطيتها شهوة المال وأسرفت فيه...انفتحت عليه أبواب الدنيا.

كلما أعطيتها شهوة حُرمت، والشهوات درجات: منها الشهوة الحرام ومنها المباح (مثلا الإسراف في الطعام) فتمنعها الخير.

● فجملة الكلام أن نحذر المعاصي.

◀ ما نفع آدم عند معصيته عزَّ {اسجُدوا لِآدَمَ}، ولا شرفُ {وَعَلَّمَ آدَمَ}، ولا خصيصةً {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}، ولا فخرُ {وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي}، وإنما انتفع بذلِّ {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} لما لبس درع التَّوْحِيدِ على بدن الشُّكْرِ وَقَع سهم العَدُو مِنْهُ فِي غير مقتل فجرحه فَوَضِعَ عَلَيْهِ جَبَّارُ الانكسار فَعَادَ كَمَا كَانَ فَقَامَ الجريحُ كَأَن لَمْ يَكُن بِهِ أَلَمٌ.

- أي مانع آدم عند المعصية سجود الملائكة، أو تعليمه الأسماء ولكن نفعه ذل العبودية لله والانكسار فلم يصبه الشيطان بمقتل لأنه ندم وتاب وكان عبداً موحداً خالصاً لله.

" وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ  
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) "

بعدما ذكّر الله عز وجل آدم بالنعيم في الآيات السابقة - أنه خلقه بيده  
وعلمه الأسماء وأسجد له الملائكة- ذكّره في هذه الآية بنعيم أخرى وهي  
(واسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) أي أنه سبحانه أسكنه الجنة وما فيها من  
الثمار والزرع والمناظر المبهجة وانشرح الصدر.

(وَقَلْنَا) نا الفاعلين للعظمة

(اسْكُنْ) السكن هو الهدوء على خلاف القلق.

(أَنْتَ) الخطاب لآدم

(رَغَدًا) الشيء أي الطيب الهنيء المريء.

(حَيْثُ شِئْتُمَا) دلالة على سعة العطاء؛ أي امشِ واسكن فيها كما تحب  
استمتع بنعيم الجنة بغير تقييد.

(وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)

(وَلَا تَقْرَبَا) نهى ولا يوجد استثناء؛ فلم يقل سبحانه أن يأكل آدم من كل  
الأشجار إلا هذه الشجرة؛ لأن الاستثناء- كما قال أهل العلم- فيه تخصيص  
أكثر، والنهي مطلقا بهذه الصورة دون استثناء أقرب للاعتذار عند  
النسيان.

● قال سبحانه **(وَلَا تَقْرَبَا)** ولم يقل ( ولا تأكلَا): لأن النهي أشد في كلمة (ولا تقربا)، فعندما يُقال (لا تقرب) فالنهي هنا عن حتى الاقتراب من حدود الشجرة.

لافتة

(من حام حول الحمى وقع فيه)

من المسلمين من يحوم حول المعاصي حتى يقع فيها، يقول سأجلس معهم ولكن لن أشارك معهم في المعصية!! مجلس غيبة ولن أعتاب!!  
**(لَا تَقْرَبَا)** مع أن النهي عن أكل الشجرة إلا أن النهي كان (لا تقربا) حتى يمتنع تماما عن الوقوع في المعصية فلا يحفره ويغريه الاقتراب.

**(الظَّالِمِينَ)** أي حتى لا يكون من الظالمين بارتكاب المعصية.

- والآية فيها دليل عظيم قد يخفى على الكثير وهو أن سكن آدم وزوجته الجنة في المرة الأولى لم تكن للخلود ولكن كانت مؤقتة، لماذا؟

1- لأن سكن الخلود لا يوجد فيه تكليف أو أوامر، فالدخول للاستمتاع فقط ولكن هناك تكليف وأمر بل ترتب على هذا الأمر عقوبة **(فَتَكُونًا مِنَ الظَّالِمِينَ)** إذا هذا السكن ليس للخلود.

2- الشيطان دخل لآدم من باب الإغواء أنهم سيعيشون للأبد فأغراهم بالخلود، فدلّ ذلك أن هذه الجنة لم تكن للخلود لآدم في هذا الوقت.

- سميت حواء قيل لأنها سبب لكل حي فهي الزوجة التي ستنجب.  
 - حواء لم يأت ذكر اسمها في القرآن لكن جاءت في السنة في عدة أحاديث منها البخاري ( **لَوْلَا حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أَنْثَى زَوْجَهَا الدَّهْرَ** ) والخيانة هنا تعني أنها تركت نصحه في النهي له فكان ترك النصح له خيانة؛ فلما وسوس الشيطان لآدم وأغواه بالشجرة وأنها ستكون سبب في خلوك وزوجتك، حواء مالت لهذه الشهوة فلم تنبه وتحذر آدم لعدم الاستماع لكلام الشيطان.

**ملحوظة هامة في الاعتقاد** ليس المقصود من الخيانة لأي زوجة من زوجات الأنبياء خيانة الفراش فهذا مستحيل لأن الأنبياء هم أشرف خلق الله فلا يجوز هذا في حقهم.

( **اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ) جعل له زوجة يسكن إليها، فخلق له زوجة من جنسه لكمال أنسه ليستأنس بها فلا يظل بمفرده حتى وإن كان في الجنة.

سؤال: الجنة التي سكنها آدم وحواء هل هي جنة الخلد أم جنة على الأرض؟

بعض أهل العلم قالوا ( ليست جنة الخلد ) واستدلوا على قولهم هذا ب :  
 - أن هذه الجنة وجدت فيها معصية.. والجنة ليس فيها معصية،  
 - وهذه الجنة بها تكليف.. والجنة ليس فيها تكليف.  
 - وهذه الجنة طرد منها... وجنة الخلد لا يطرد منها.

← كل هذا الكلام فساد اعتبار !! لماذا؟

- لأن أحكام الجنة التي استدلووا بها بأنه ليس فيها معصية ولا تكليف...  
هذه أحكام جنة في الآخرة، وما قال الله عز وجل أن آدم سكن جنة تجري  
عليها نفس الأحكام التي سيدخلها أهل الجنة في الآخرة.

وعقيدة أهل السنة والجماعة وإجماع السلف على أن الجنة التي خرج  
منها آدم هي جنة الخلد.

- ومن ضمن الاستدلالات أيضا قوله تعالى **(اهْبِطُوا)** والهبوط من أعلى  
لأسفل فلو كانت جنة على الأرض لقال (انتقلوا) فالانتقال من مكان لمكان  
آخر، إلى غير ذلك من الأدلة التي لاداعي لإطالة النفس فيها، لكن ينبغي  
الحذر لأن من قال أن الجنة ليست جنة الخلد هم المعتزلة وهي فرقة  
ضالة.

" فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبِطُوا  
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (36) "

فلم يزل عدوهما الشيطان يوسوس لهما ويزين لهما، فانظر كيف حملهما  
على الزلل!! وبسبب هذا الزلل خرجا من الجنة.

- **(فَأَزَلَّهُمَا)**، وهناك قراءة لحمزة (فأزالهما) فما الفرق؟

« **(أَزَلَّهُمَا)**: أي حملهم على الزلل بسببها؛ فكلمة **(عَنْهَا)** أي بسبب هذه  
الشجرة؛ **(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا)** زَلَّتْ قدمهما في المعصية وكانت  
الشجرة سبب في خروجهم من الجنة.

فكلمة (أزل) تقتضي عثرة وخطأ مع زوال بسبب هذا الخطأ.

◀ أما (أزالهما) في قراءة حمزة فمعناها ذهباً أي ذهب الخير الذي كانا فيه.

- المعنى متقارب لكن كلمة (أزالهما) في قراءة حمزة لا تقتضي وجود عثرة أو خطأ، فقد يزول الشيء دون عثرة أو خطأ بخلاف (أزلهما).

سؤال: كلمة (عَنْهَا) عائدة على الشجرة أم على الجنة؟

بالمعنى الذي قلناه يعود على الشجرة، ومن الممكن أن يكون معنى الكلام أنهم أخرجوا من الجنة أي زال الملك عنهم وخرجوا من جنة الخلد الى دنيا شقاء.

سؤال: كيف استزلهم الشيطان ودخل عليهما؟

أولا وسوس لهما.

لكن كيف دخل الجنة؟ هناك أقوال كثيرة جدا في كتب التفسير

منها ما يقول: أنه دخل على صورة طاووس وقف على سور الجنة فأعجبوا به وذهبوا إليه فوسوس لهما.

وقيل أنه دخل في فم حية

وقيل أنه نادى من بعيد فسمعوا الصوت وتتبعوه فوسوس إليهما

◀ كل هذه الأقوال لا دليل عليها فنتوقف عند ما ذكره الله عز وجل في القرآن، فنقول فقط هي وسوسة أي صوت خفي ألقى في أنفسهم من قبل الشيطان.

## ولكن ماذا قال الشيطان:

في سورة الأعراف " وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) "

فقال لهما أنهما إذا أكلا من الشجرة سيصبحوا من الملائكة ويخلدون فيه.  
(وَقَاسَمَهُمَا) ما ظن آدم أن اللعين يقسم بالله كذبًا ومن هنا صدق الشيطان، ونسي أن الله أخبره أنه عدو له وحذره منه.  
أحيانا أمام الشهوة تحدث الغفلة؛ فمن عظمة الجنة وجمالها خاف آدم أن يخرج منها وأراد الخلود فيها.

■ (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) فيها نداء وتشريف ثم عندما عصوا قال الله تعالى (وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) لم يقل (يا آدم) لأنه أخطأ وظلم نفسه فالمقام هنا مقام عقوبة وليس تشريف.

(وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ)

وبعدها بآية قال تعالى (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا)

■ إذا تتبعنا لفظ الهبوط في القرآن سنجد أنه يأتي مفردا ويأتي مثنى ويأتي جمعًا.

- (مفرد) " قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا... (13) " [الأعراف]

- (مثنى) " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا (123) " [طه]

- (جمع) " وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ (36) " [البقرة]

● بعض أهل العلم استدل على أن **(اهبطوا)** لآدم وحواء. واستدل من قال منهم بذلك ببعض الأدلة:

- **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا** خطاب لآدم وحواء خاصة لكن عبر بلفظ (جميعا) كي يشمل الذرية أيضا.

- في سورة طه " **قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا** " فالفعل جاء بلفظ التثنية.

- " **فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (39)** " [البقرة].

كل هذا استدلوا به على أن (اهبطوا) خطاب لآدم وحواء

← وهذا هو أضعف الأقوال.... لماذا؟

1- الآيات التي جاء فيها لفظ الهبوط جاء بعدها ذكر العداوة " **وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** " فهناك عداوة ذكرت مع الهبوط.

والعداوة في القرآن جاءت بين الشيطان والإنسان، وليس بين الإنسان والإنسان " **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا (6)** " [فاطر]، أما الزوجة فلم يأت في القرآن لفظ يقول أنها عدو - باستثناء موضع واحد " **إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ (14)** " في سورة التغابن كان سياق الآية في حالة معينة - لكن العداوة المطلقة لم تأت مع الزوجة، بل كان ذكر الزوجة مرتبط بالمودة والرحمة.

2- كلمة **جَمِيعًا** لا يصح الاستثناء فيها وقول أنها تعود على آدم وحواء فقط.

3- وأما ألف الاثنين في كلمة (اهبطا) فهي عائدة على آدم والشيطان وحواء تابعة لآدم.



○ أحد السلف الصالح أصل قاعدة هامة جدا ألا وهي:

( **تَرَكَ الأَمْرَ أعْظَمَ عِنْدَ اللهِ مِنْ ارْتِكَابِ النِّهْيِ** ) آدم ارتكب النهي وإبليس ترك الأمر؛ والسبب في ذلك أن ارتكاب النهي في الغالب يكون صادر عن شهوة واحتياج وضعف لكن ترك الأمر في الغالب لا يكون إلا عن كِبَر واستعظام.

وليس معنى هذا التهوين من شأن ارتكاب النهي فالاثنان حرام، لكن ترك الأمر أعظم حرمة وأشد عند الله.

( **فَعَلَ المَأْمُورَ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تَرَكَ المَنْهْيِ عَنْهُ** ) أمرنا الله عز وجل بأوامر مثل الصلاة والصيام والحج وبر الوالدين.....

- عن عبدالله بن مسعود سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا [صحيح البخاري]

كلها أوامر يحبها الله فَعَلَّقَ اللهُ مَحَبَّتَهُ عَلَى فَعْلِ الأَمْرِ؛

" **وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ** (134) " [آل عمران]

" **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا** (4) " [الصف]

" **وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ** (9) " [الحجرات]

كلها أوامر بفعل الشيء وليست بالنهي.

- أما ما جاء في جانب النهي جاء بالنفي؛

" **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ** (205) " [البقرة]

" **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** (23) " [الحديد]

أيهما أقوى (الله يحب) أم (الله لا يحب)؟

(الله يحب) أعظم.

فالله سبحانه وتعالى أمرنا بأوامر **والأمر مقصود لذاته**، وأما النهي فالمقصود منه استخراج عبودية الطاعة التي هي أصلا امتثال لأوامر الله عز وجل فنصل به أيضا لما يحبه الله.

**\*\*مثال:** عندما يقول الله عز وجل **(وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ)** فإن المسلم يترك الفساد امتثالا وطاعة لله فيفعل ذلك ليصل إلى مراد الله الذي أمر به الله عز وجل لذلك نقول أن الأمر من الله عز وجل مطلوب لذاته.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)